

لا تكن ثرثاراً

اعداد

القسم العلمى بدار الوطن

دار الوطن للنشر

الثرثارون، والمتشددون، و المتفیهقون قالوا: يا رسول الله! قد علمنا الثرثارون والمتشددون، فما المتفیهقون؟ قال: المتكبرون (رواه الترمذی وقال الألبانی: صحيح لغيره)

والمتشدد هو المتكلم بملء شذقيه تفا صحاً وتعظماً واستعلاءً على غيره، وهو معنى المتفیهق ايضاً. ومع هذا التحذير النبوى الشديد من الثرثرة والتشدد فى الكلام والكبر والاستعلاء والتعاضم على الآخرين فى المنطق والبيان، فاننا نرى أناساً أكثر لا يكفون عن الثرثرة والكلام فيما لا يحسنون، فتجد الواحد منهم يتكلم فى أمور الدين وكأنه ابن تيمية أو ابن القيم أو ابن حجر أو النووى، ويأتى بالآيات القرآنية التى لا يحسن قراءتها، ويستدل بها فى غير موضع الاستدلال، وربما زعم أن هذا اجتهاد منه، وهو لما يصل بعد الى مرحلة صحة القراءة، فكيف بمرحلة الاجتهاد والاستنباط؟! ثم هو نفسه يتكلم فى مجال الأدب و نقد الشعر والموازنة بين أبى تمام و المتنبى، وكأنه من كبار رجالات الأدب والنقد فى عصره. ثم تجده يتكلم فى الطب والهندسة والرياضة والسياسة والفلك و علوم الفضاء و مشكلات المياه التصحر و تغيير المناخ، وكأنه واحد من أبرز العلماء فى تلك الفنون، مع أن بضاعته فى ذلك كله مُزجاة، ولكنها شهوة الكلام والاستعلاء على الآخرين، ثم هو لا يلتزم فى حديثه بأدب الحوار، أو يعطى غيره فرصة للتعبير عن رأيه، بل يبادر بتخطئة رأى الآخر قبل أن يستمع اليه جيداً. وهذا يدل على مرض فى القلب، وانتصار للنفس، وعدم رغبة فى ظهور الحق أو تقبله من الآخرين.

والثرثار كثير التعدى على الآخرين واحتقارهم، والنبي ﷺ يقول: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" (متفق عليه)

ولذلك أوصى النبي ﷺ بحفظ اللسان و عدم استخدامه الا فيما يفيد، ويجلب الخير لصاحبه و للناس. فعن عقبه بن عامر رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! ما النجاة؟ قال: "أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك" (رواه أبو داود و الترمذی وقال الألبانى: صحيح لغيره)

وقال ﷺ: طوبى لمن ملك لسانه، ووسع به بيته، وبكى على خطيئته. (رواه الطبرانى وقال الألبانى: حسن لغيره)

وأخبر النبي ﷺ أن من ضبط كلامه و حفظ لسانه فاز بجنة ربه، فقال ﷺ: "من يضمن لى ما بين لحييه، و ما بين رجليه أضمن له الجنة" (رواه البخارى) وقوله: ((لحييه)) تشبيه ((لحي)) وهما العظامان فى جانبي الفم،

والمراد بما بينهما: اللسان.

وقال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرًّا مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَشَرِّ مَا بَيْنَ رَجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ" (رواه الترمذى وحسنه)

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن خروج اللسان عن حدّ الصحة وتجاوزه الضوابط الشرعية للكلام يدل على مرض القلب وضعف الأيمان، وهذابين علاقة الظاهر بالباطن، وأن الايمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان. قال عليه الصلاة والسلام: "لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه" (رواه احمد وحسنه الألبانى)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" (متفق عليه)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه: "ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟" قلت: بلى يا رسول الله! قال: "رأس الامر الاسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد". ثم قال: "الا أخبرك بملاك ذلك كله؟" قلت: بلى يا رسول الله! قال: "كف عليك هذا". وأشار الى لسانه. قلت: يا نبي الله! وانا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك، و هل يكبُّ الناس فى النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم- الا حصائد ألسنتهم (رواه احمد والترمذى وقال: حسن صحيح)

و بلغ من خطورة اللسان أن الأعضاء كلها تُظهر عجزها أمامه، وتبين انها تابعة له، منساقه وراءه فى الخير والشر، ولذلك فانها تأمره بالتقوى والاستقامة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أصبح ابن آدم فان الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتقِ الله فينا، فانما نحن بك، فان استقمتم استقمنا، وان اعوججت اعوججنا" (رواه الترمذى وحسنه الألبانى)

وربما ظن الثرثار أن كلامه لا ضرر من ورائه، وقد يكون فيه الهلاك وهو لا يدري، يدل على ذلك قوله: "ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزلُّ بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب" (متفق عليه) هذا فى كلمة واحدة، فكيف بالثرثار الذى لا يكف عن الكلام أبداً؟!

ولو تدبر الثرثار أمره لعمل على نجاته نفسه بالصمت وترك الخوض فيما لا يحسن، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من صمت نجا" (رواه الترمذى وصححه الألبانى)

وقال: "مَنْ حُسِنَ اسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ" (رواه الترمذى وقال الألبانى: حسن لغيره)

والثرثار يتكلم فيما يعنيه و فيما لا يعنيه، وهو أيضاً يعتمد فى حديثه على القيل والقال والاشاعات و الظنون

الكاذبة، وقد قال النبي ﷺ: "إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال وكثرة السؤال" (متفق عليه) فيأخى المسلم! إذا كان اللسان بهذا الخطورة، فحرىُّ بك أن تتنبه لذلك، وأن لا تتكلم الا فيما يعينك، ولا تتكلم فيما يعينك الا بالحق والعدل والمعروف، ولا تحض في غير فنك وكن مستمعاً جيداً، فان لك أذنين ولساناً واحداً.

أسباب الثثرة

اعلم أن للثرثرة أسباباً منها:

- ١- الكبر والغرور ورؤية النفس .
- ٢- مرض القلب الناتج عن ضعف الايمان .
- ٣- الرياء ومحاولة جلب أنظار الآخرين .
- ٤- سطحيه المعرفة فيحسب أنه استوعب كثيراً من العلوم مع أنه لم يعرف الا القشور .
- ٥- احتقار الآخرين وازدراؤهم وعدم رؤية ما هم عليه .
- ٦- شهوة الكلام التي ابتلى بها كثير من الناس .

مضار الثثرة

أما مضار الثثرة فانها كثيرة جداً منها:

- ١- تؤدي الى الكذب، وأعظم ذلك الكذب على الله ورسوله ﷺ، بتحليل ما حرم الله و تحريم ما أحل .
 - ٢- تؤدي الى غش المسلمين و خداعهم .
 - ٣- تؤدي الى العداوة والبغضاء بين الناس .
 - ٤- تؤدي الى عدم تقبل النصيحة والاستهانة بالناصح .
 - ٥- تؤدي الى استخلاص نتائج خاطئة نتيجة كلام غير مدروس، وقد تجر على الفرد والمجتمع ويلات عواقب وخيمه .
 - ٦- تؤدي الى خفاء الحق و بروز الباطل .
 - ٧- تؤدي الى فساد ذات البين .
 - ٨- تؤدي الى اشتعال نار الفتن والنزاعات والحروب، فقد قيل: أول الحرب كلام .
- نسأل الله تعالى أن يُصّرنا بعيوبنا، والحمد لله على كل حال .